لبنان

فلسفة « الارتزاق » ...

*

ما برحت جماعة « شعر » تدعو بعنف وحدة الى الرفض المطلق للقيم . وقد القت مؤخرا خالدة سعيد محاضرة في هذا الموضوع اكدت فيها ان زوجهـا ادونيس كان اول الداعين الى الرفض ، وافضل الرافضين بين الجماعة المذكورة . وليس لنا ان نسال وان نجيب على السؤال : كيف تجمع خالدة وزوجها بين الرفض المطلق وانتمائهما لحزب والتزامهما لعقيدة . ان علم ذلك عند الذين يطمئنون الى المتناقضات تتجاور في كيانهم فما تتصارع عن نفار ، وما تأتلف عن طلب مخلص لنظرة واحدة موحدة .

ولعله يكفي بان نحكـم على هذا الرفض بانه فعل جماعة غير مسؤولة ، تفسخ وتشوه ماتفسخ من مذاهب الادب الاوروبي التـي تقع بين ايديها مصادفة واتفاقا . وهل ان مفهومها للرفض غير نسـخ مشوه عن مذهب اندريه جيد والسرياليين ؟ ومع ذلك فالواقع الذي وجدت فيه هذه الجماعة لا يمكن ان يبرره غـير رفض للقيم يسقط عنها مسؤولية الاخلاق ويطلقها تعبث بالغايات الكريمة وتستبيح الوسائل غير المشروعة . ويعود هذا الواقع الى الشرنقة الكبيرة المتضخمة التي نفخها سعيد عقل ودعاها رسالة لبنان في « لبنة العالم » ، والتـي ترعرع فيها جيل من الادباء والشعراء ، بينهم جمـاعة « شعر » ، فامتنع عليه ان يرى في العالم العربي مجالا طبيعيا حيويا ، يتفاعل مع الفكر فيه فيكيفه ويتكيف به . وهكذا تقلص مداه واجدب وانكفأ على ذاته الفارغة يجترها ويقلد سعيد عقل فيغزل من فراغه فقاعات ملونة فارغة . وما لبث الناس ان ملوا هذه اللعبة المزيفة ، وملها هذا الجيل فاستولى على نفسه القرف من نفسه ومن شعره ومن نثره . ولـم تعد تخدعه شرنقة سعيد عقل ولم يكن لديه ، في الوقت نفسه ، الجراة على طرح مسالة القومية العربية بجد ورصانة . وفي حـال القرف والفراغ والشعور بالضياع وعدم الجدوى وقع على نظرية الرفض في الادب الاوروبي فاساء فهمها وشوهها لتغدو سلاحا في يده يدافـع به القومية العربية . واتخذت ردة الفعل مظهرين متباينين ، يتمثـل احدهما في مجموعة « البئر المهجورة » ليوسف الخال ويتخذ صفة الهجاء الخائف الحذر للقومية العربية فيتقنع بالرمز المزيف والصورة المضللة . والمظهر الاخر يشيع في شعر الاخرين من الجماعة المذكورة ويبلغ منتهى البذاءة وقلة الادب في مقالات انسي الحاج الصحفية ، التي يحب ان يدعوها قصائد نثرية ، حيث نقع على مثل هذه العبارات « الدودة الوحيدة العربية » ، ويعني بها القومية العربية ، و « فرج » العروبة و « التبويل » على الحضارة العربية ، وعبارات اخرى لا تصدر الا من ولد من اولاد الاسواق والازقة . لهذا كله كان ان دعت الضرورة الى نقل الصراع من جبهة القديم والحديث الى قلب الشعر الحديث نفسه للتمييز بين حديث مجلوب منحط وحديث بناء اصيل . وقـد اكد الشاعر خليل حاوي على الفـارق بين رفض يجهل ما يرفض ، وينحط بالرافض الى دركة الحشرات ونبات المستنقعات ورفض واع مسؤول يغربل التراث ويستمد منه الغذاء لنظام جديد من القيـم الاصيلة . ويشاركه هذا الموقف المترصن الشاعر رفيق الخوري الذي قال في هذا الصدد :

« .. ومن هنا نجد انفسنا نحضن بعض القصائد الحديثة كمـا تحضن الام ابنها الضائع الذي عاد .. بينما تفتر شفاهنا عن تكشيرة سخرية من نماذج هدمت كل شيء .. ولم تحاول بناء اي شيء .. نماذج يعترف اصحابها « ان مجتمعنا كله وسخ مزنخ قذر .. وان الشاعر الحديث هو الاكثر قذارة وزناخة ووساخة باعتبـاره معبرا عن هذا المجتمـع » !!

هذه النماذج ليست من الشعر الحديث في شيء .. ولكنها هجين غريب .. هياكل من عظام .. استعير كل عضو من اعضائها من مقبـرة خـارج بلادنـا ..

بين هذا « الشعر الحر الفوضوي المزنخ الوسخ » وبين الشعـر الاصيل النقي الغني بالتجربـة الصادقة .. المشبع بالثقـافة .. الموسق ، تجري المعركة الثانية ..

انها معركة في قلب الحركة الشعرية الحديثة .. بين شعراء نبتوا في ارض بلادنا .. حملوا هموم وافراح شعبنا .. وعبروا عنهـا باصالة وتجديد وابداع .. وبين عصي نشرت عليها الثياب الغريبة فاصبحت « كالغزاعات » التي لا يجري فيها دم الارض .. صارت بـلا احاسيس .. حتى ازاء الكرم الذي تدعي انها تحرسه ..

انه الفرق بين صاحب الكرم وحارسه الحقيقي .. وبين هـذه « الغزاعـات » ...

هؤلاء الذين يسيرون على العصي .. لا يحسون بالجو حولهم .. يشعرون انه غريب .. هم الذين يجب ان توجه نيران المعركة ضدهم لا ضد حركة الشعر الحديث برمتها (!) »

كذلك يجب القول ان الرفض المطلق لا يبرر البذاءة والانحلال والاجتلاب في شعر جماعة « شعر » فحسب ، بل يعود اليها بفائدة التحلل الخلقي الذي يمكنها من مد الايدي الى مصادر الرزق الملوثـة والمتاجرة بالقيم والمبادىء والمواقف الحضـارية . فالرفض فلسفة الارتزاق ، والداعون اليه مرتزقة لا يبالون تحت اية راية ينضوون ما دامت المكافآت مضمونة على سبيل العـرض والطلـب والمـزاد . ويجب الا يخدعنا المصطلح الفلسفي عن حقيقة الرفض ، فهـو لا يعـدو ما دعاه الباحثون في اوضاع الشرق الاوسط ، ومنهم الاستاذ البرت حوراني ، التوسط التجاري النفعي في الافكار بين الشرق والغرب ، صفة ملازمة لفئة من الادباء والشعراء قطعت جذورها من تربة الوطن فاصبحت تستلم المبادىء وتسلمها بدون ان تتاثر بهـا ، وبدون ان تفاضل بينها الا بمعيار المنفعة والارتزاق . وعن هذين الدافعين تولدت مجلة « شعر » وضمنت استمرار صدورها . ولنترك الكلام في هـذا الامر للشاعر رفيق خوري الذي قـام بتحقيق علمي عن نشاة المجلة ومصادر الاموال المتدفقة عليها . قال رفيق : « ان البير اديب .. وجوزيف نجيم وحسين مروه ومحمد دكروب قد اشاروا باستغراب الى مصادر الاموال . واكثر من مرة كتب انسي الحـاج في جريدة « النهار » يقول : نعم نحن خونة .. نحنّ نتعامل مع الاستعمار .. نحن نقبض .. فماذا تريدون ؟ » ثم يتـابع رفيق سرده للاحداث المتلاحقة فيقول : « فجاة وبقدرة « قادر » اعلن شارل مالك ـ ما غيرو ـ انه يحب الشعر العربي وانه يتمنى الازدهار لهذا الشعر .. وفي بيته جمع عددا كبيرا من « الشعراء » وتداول المجتمعون باشراف الدكتور مالك قضية الشعر ..

وظهرت مجلة « شعر » واقيمت حفلة كوكتيل كبـرى في فنـدق بلازا تكلفت الوف الليرات اللبنانية ..

وبدأت اجتماعات حلقة شعر تعقد اسبوعيا في فندق بلازا ..

اما نفقات كل هذا فلا يدري من اين تاتي الا الراسخون فـي « الشعر » .

(١) مجلة الاحد ، في ١٢ ـ ٢ ـ ١٩٦١ ، ص ٣٠ و ٣١ .

وحدثنا اصحابنا من اصحاب يوسف الخال عن يوسف انه بعد ان ذاق مرارة الافلاس وعمل في دار « الصياد » ولم يقبض شيئا سافر الى اميركا ..

ولم تطل غيبته فقد عاد .. وكان شيئا من الافلاس لم يكن .. وحضر الاجتماع في بيت شارل مالك ..

و « اشترى » مطبعة .. واصدر مجلة « شعر » وبدات حفلات الكوكتيل .. ويضيف هؤلاء الصحاب ان يوسف يريد ان يكون زعيم حركة الشعر العربي الحديث مثل ازرا باوند في تاريخ الشعر الاميركي.. ولذا فهو ينفق بلا حساب في سبيل هذه « الزعامة » وهذه الحركة ..

وهات من يصدق الرواية ..

فمجلة « شعر » لا تبيع اكثر من مئة عدد .. فهي بذلك لا يمكن ان تغطي نفقاتها .. اما التراجم التي صدرت عن دار شعر ومنها « ديوان الشعر الاميركي » الذي ترجمه او نظمه يوسف الخال ـ والعلم عند ربي ـ لم تبع منه الا نسخ قليلة .. اما هذا الكتاب فقد اشتراه مكتب المعلومات الاميركي ووزعه على المدارس الصديقة والصحف المخلصة .

وقد جاءني مرة احد افراد عصابة شعر وهو يشد شعره ويقول : اين القراء العرب .. اين الحضارة العربية ؟.. يا هو .. اسمعوا .. كتاب هملت لشكسبير الذي ترجمه جبرا ابراهيم جبرا واصدرته دار مجلة شعر لم تبع منه الا ستا وثمانين نسخة .. اما ديوان شوقي ابو شقرا فقد بيع منه ، في بيروت ، ١٥ نسخة ! وهذا ما قاله شوقي نفسه !

من هنا ندرك ان المطبعة والدار لا تستطيعان بأي حال سد امثال هذه الحفلات .. فهل تسد عن طريق تبرعات الاعضاء ؟ ومن هم هؤلاء الاعضاء ؟...

لم تمر فترة طويلة حتى انفصل عنهم الدكتور خليل حاوي وجورج غانم وبقي السادة المدرجة اسماؤهم ادناه مع تبيان اعمالهم :

ادونيس (علي احمد سعيد) : قومي سوري هارب من الاقليم السوري .. بلا عمل .

محمد الماغوط : قومي سوري هارب من الاقليم السوري . بلاعمل.

فؤاد رفقة : قومي سوري هارب من الاقليم السوري . نصف معلم.

شوقي ابو شقرا : لبناني . معلم مدرسة .

انسي الحاج . محرر في جريدة « النهار » .

نذير العظمة : قومي سوري هارب من الاقليم السوري . معلم .

ويوسف الخال ...

هذا هو السؤال الذي ظل حتى الان بلا جواب جريء ..

ونحن نتمنى من الاستاذ يوسف الخال ان يجيب .. كما نتمنى من جميع العارفين ان يجيبوا (٢) » .

وعلى اساس التبادل التجاري في الشعر ، تحاول جماعة « شعر » ان تذكر بعض المستشرقين وبعض اصحاب المجلات الاوروبية العاملة في حقل الدعاية ، بما ترجمت من الشعر الاوروبي الى العربية ، وتطالبها ان يعاملوها بالمثل فيدفعوا ثمن الخدمة من نوعها . وفاتها انهم دفعوا لها من قبل ، وان ما تطلبه الان يعتبر طمعا وجزية باهظة . وكيف يمكن هؤلاء ان يترجموا شعرا عربيا هو في جوهره ترجمة غير امينة من اللغات الاجنبية ؟ الا يقول القارىء الاوروبي حين يطلع عليه « بضاعتنا ردت الينا » ؟ وترد جماعة « شعر » ان الترجمة غدت ملاذها الوحيد في رد الاعتبار لنتاجها الشعري الذي اعرض عنه العرب لتحيزها للسياسة الغربية .

ولا تقف اعراض الرفض المطلق ، بما هو مرض نفسي ، عند هذا الحد ، بل تتعداه الى آفة اشرنا اليها في العدد السابق ونحن نعود الى التوسع في تشخيصها ، وهي آفة التزوير التي دفعت جماعة « شعر » الى تقليد سعيد عقل ومناهضته ، ودفعتها الى تقليد خليل حاوي واقتباس رموزه وطريقته وتشويهها . وقد حاولت ان تخفي اقتباسها بمؤامرة من الصمت الخبيث كانت وما تزال تحوكها حول اسمه . ولن يرفع عن ادونيس تهمة التقليد كتاب متحيز متحزب تكتبه زوجته خالدة سعيد وتهمل فيه ذكر خليل حاوي . وكذلك انتهى الرفض المطلق بشعراء « شعر » الى نتيجته المنطقية المحزنة . فهم في جلساتهم الخاصة ، كما حدثنا بعض المتفرجين ، يسخرون من تفاهة بعضهم ثم يحجبون ذلك بما ينشرونه من محاضر ملفقة عن تلك الجلسات . فمنهم من يعد في الجلسة الخاصة صبيا ارعن يخبط في الشعر على غير هدى ،لكن المحاضر تبرزه الى الناس عبقرية الدهور، ومنهم صاحب الرأي الشخصي التافه في الشعر ، ولكنه على صفحات الجرائد ناقد حضاري ، جمالي ، فلسفي ، سيكولوجي بيولوجي .

ولهذه الآفة تفسير واحد هو ان الاحتقار العام الذي يحاصر هذه الجماعة ويضيق عليها يجعلها تتحرك في جو خانق ، يحاول كل من افرادها ان يملأه وحده . وهل تتسع الشهرة لاكثر من واحد متى كانت حدودها تبدأ وتنتهي في « حي رأس بيروت » ؟ كذلك يحتم عليهم الاحتقار العام ان يتماسكوا في جهة واحدة وان ينفخوا بعضهم بعضا امام الناس بينما تنهشهم الضغائن الداخلية . ومن الاسلاك السحرية التي تشدهم الى جبهة واحدة الفائدة المادية التي تنتج عن ارتباطهم بدولاب مطبعة يدور مجانا ...

الجمهورية العربية المتحدة

الاقليم الشمالي

الاستهتار والهاوية ..

لمراسل « الاداب » محيي الدين صبحي

*

هناك ظاهرة خطيرة ينحرف اليها نتاج الشبان في هذه الفترة ، وتؤكدها مواقفهم وتصرفاتهم وتصريحاتهم في الصحف .. ويحددها سلوكهم اليومي وخلقهم الشخصي وعلاقاتهم بين بعضهم وبعض او بينهم وبين القراء ..

هذه الظاهرة هي « الاستهتار » اي تجاوز كل الحدود المألوفة او المستوردة في الحياة الاجتماعية عامة والحياة الادبية خاصة . وهذا التجاوز يكون عفويا تارة ومقصودا في احيان اخرى ، الا انه لاينبيء عن استشراف قيم جديدة ، ولا يحتوي دعوة الى حياة افضل وانما هو رفض لكل ماهو قائم واستهتار بكل الاسس الثقافية والحضارية التي تسير عليها حياتنا الفكرية ، ثم الاقتناع بهذا الهدم والقعود عما سواه ـ ولعل في كلمة « هدم » بعض الاسراف في التعبير ، فموقفهم على وجه التحديد هو التخلي عن كل القيم جديدها وقديمها . انهم خارج القيم ، يقفون موقف المتفرج الاعزل ، ينتظرون انهيار القديم من تلقاء نفسه ونشوء الجديد من تلقاء نفسه ايضا وبمعجزة ، اما هم فلا دخل لهم في شيء ، واذا تساءلت عن مادة كتابتهم فهي الالفاظ ، ولا شيء غير ذلك ! ولا يبقى امام الباحث الذي يقرر حقائق الامور الا ان ينظر بعين العطف والتأييد لمن يهدمون دون ان تكون عندهم الجراة على البناء ، فهؤلاء وان كانوا يخبطون خبط عشواء ، فانهم قد يصيبون موطن الداء ولو عن طريق الصدفة !

و « الاستهتار » لايقتصر على الموقف العام من الحياة والمجتمع ، انه يتجلى في الجراة على الادب والقراء واللغة ، بل حتى على

(٢) مجلة الاحد في ٢٢ ـ ١ ـ ١٩٦١ ، ص ٣٠ و ٣١ .

الحجارة والحبر والورق ! انهم يصفعون كل قاعدة ويبصقون على كل قيمة ويهزؤون بكل احترام للذات او للاخرين ... فقد كتب احدهم « للحب طريقين » دون ان يرى فيها سبة لنفسه وللفته ، و « لطش » احدهم قصة ستيفان زفايغ « رسالة من امراة مجهولة » .. لطشها بكل تواضع وحسن نية ... ونشر احدهم ديوانا جاء فيه :

خذها ، تحس بـ « كبت جنسي » في عمقها ورغابها ..

وتفضل شاعر اخر فنشر ديوانا ، خلط فيه بين الموزون وغير الموزون ، وقال كلاما يعاتب فيه حبيبه ، منه :

اتراه نسي
حبنا .. وقسا
وانا ها هنا ... في انتظار
ومرت مرارا ليالي جفاه ..
واسمري الحلو .. لايبسم
ومات ابتهال .. والف صلاه
ولم يبسم لي .. الا يرحم ؟!

وفي هذا الديوان صفحات كاملة ملاها الشاعر بالنقاط دون ان يضع تحت النقاط حروفا ، فجاءت من ابلغ ماكتب ! ونامل ان تكون دواوينه القادمة صفحات من النقط فقط .

واذا تركنا مجموعات « القصص » وداوين « الشعر » واستعرضنا مواقف الكتاب من انتاج بعضهم وبعض لهالنا مانجد من تطرف وادعاء عريض . فاما ان ينظر كل الى نتاج الاخر نظرة تقديس واجلال ، واما ان يقذفه بتهمات شتى ، اقلها انه يترجم انتاجه عن لغة اخرى ، او انه يستعين في انتاجه بمساعدة غيره .. هكذا يسمح كل كاتب لنفسه ان يلغي شخصية غيره بثقة وبساطة وهدوء .. فالكلام عندهم رخيص ،

صدر حديثا

	ق.ل
دايوان الشريف الرضي جزآن	٣٠٠٠
ديوان طرفة بن العبد	٢٥٠
شوقي « مجموعة شعراؤنا »	٣٠٠
الطول في انشاء المكاتيب	٢٠٠
حكايات لبنانية لكرم البستاني	...
شعراء القصة والوصف في لبنان	...
القصة القصيرة في اميركا ترجمة لسميرة عزام	...
آثار البلاد واخبار العباد للقزويني	١٥٠٠
المحاسن والمساوىء للبيهقي	١٢٠٠

الناشر : دار بيروت ـ دار صادر

والمناقشة ممنوعة ! وهؤلاء الذين يثورون اذا مسهم النقد بما لايرضون ، يخرسون تمام الخوس تجاه كل الظواهر الرجعية التي تهدد حياتنا الاجتماعية وحريتنا الاجتماعية .. فقد تسلط الجامدون ورجال القرون الوسطى على وسائل النشر ، واخذوا يمارسون « التبشير » من جديد! وهم يهاجمون الاختلاط بين الجنسين ويدعون الى الحجاب وينادون باغلاق السينما ويزعمون ان كبت العواطف فضيلة وان حيازة الرجل لحريم فيه الكثير من النساء ، هو فضيلة ايضا !

كل هذا يجري دون ان يتحرك قلم او يثور ضمير لاي من الكتاب الشبان او الشيوخ كان الامر لايعنيهم من قريب او بعيد .. وما لهذا الموقف الصامت من تعليل سوى انقطاع الروابط بين الاديب والمجتمع من جهة وبين الاديب والثقافة من جهة اخرى ، فالكاتب لايهمه الا وضعه الشخصي كل لحظة بلحظتها ، فهو قد فقد التفكير حتى فيما يتعلق بمصيره الشخصي . انه محدود ضمن برهة ضيقة ، هي رواج كتابه في الاسبوع الذي وزع فيه فقط .. ومن بعد ذلك الطوفان على الادب والقيم والادباء والتراث !

ومن هنا نلاحظ فقدان حرمة المؤسسات الثقافية في نفوس الادباء فلا يتورع احدهم عن شتم مجلة لانها لم تنشر مقاله مثلا ، او يشهر بفلان من الناس لانه خالفه براي . ومن هذا القبيل موقف احد الشعراء من مجلة « الاداب » . لقد ظل يشتم المجلة وصاحبها اربعة شهور متواصلات دون ان يرعى حرمة لمجلة مثلت الفكر العربي والادب العربي ماينافز التسع السنوات !

كل هذا الاستخفاف يدل على تجوف ضمير الاديب وعدم ايمانه بغير مصلحته الموقتة . في حين ان باب الادب ضيق وان الادب يعمل في سبيل تنقية الضمير وزيادة حساسيته . والاديب يبحث في اعماق القلب عن القيم الثابتة في ضمير الانسان ، من خلال حياته الزائلة العابرة . وما المؤسسات الثقافية الا معابد للروح ، علينا ان نصونها من كل عبث لئلا يفقد الانسان العادي ثقته بالقيم التي تنشرها هذه المؤسسات ، اما اذا اوهمنا القارىء ان الادباء مزيفون وان الناشرين لصوص ، فنكون قد اجبرناه على قطع صلته بالثقافة ، ومن ثم بالتطور والحضارة .. ومن المؤسف ان هذه هي السبيل التي تسير عليها الامور الثقافية عندنا : انتاج غث يستخف بذوق القارىء وفهمه، واستهتار من اكثر الشبان والشيوخ بكل الواجبات الادبية التي تمليها الثقافة والوعي . واخيرا لا مبالاة شاملة بكل مايتجاوز حدود اللحظة العابرة .. وهذه كلها عناصر تسمم تؤدي الى شلل القوى العقلية والروحية لجيل باكمله .. انني في هذه الكلمة لم اسم احدا باسمه لان هدفي ان اسجل هذا التدهور كظاهرة عامة اشترك في وضعها اشخاص غير واعين لما يفعلون ...

ماهو طريق الخلاص ؟ ان الهاوية تنتظر ، ويجب ان يوجد اشخاص يستمدون من ايمانهم وثقافتهم وقيمهم صلابة وصبرا لانهاية لهما !

*

الاقليم الجنوبي

مشكلة عدم الاستجابة ..

لراسل الاداب محيي الدين محمد

*

اذا تصورنا المجتمع بوشائجه المختلفة من اقتصاد الى سياسة الى نفسية الى اخره ، مجموعة من المواد الموضوعة في اناء مقفل فوق النار ، فان الفكر يصبح هذا الزبد الطافي على السطح ، محتضنا في تكوينه الكلي ذرة من تلك المادة ، وذرة من الاخرى ، وذرة من الثالثة .. اي انه مرتبط بكل ما في الاناء من مواد بنسب تعين مقدار الفاعلية والزيادة والنقصان التي لكل مادة ، وهكذا ..

النشاط الثقافي في الوطن العربي

انه ارقى وشائج المجتمع ... « فحيث يزداد القدار الميتافيزيقي في وعي الانسان ، ووعي الامة ، يسجل هذا الترمومتر الحساس هذه الزيادة ، ويطرح جوابها ، ففي العصور اليونانية كانت الروح العامة هي الاعتراف بعبودية الانسان بازاء قدره، والاعتراف بقوة الالهة وجبروتها، وكان العامة مؤمنين بذلك ، ولا يتصورون امكان ان يصبح الانسان حرا ، وجاء التحدي في صورة مسرحية الملك الذي يكتشف انه قاتل لابيه ، وزوج لامه ، وفي لحظة الاكتشاف المريرة يفقأ الملك عينيه !! .. كلا .. ليس الحزن هو السبب . انه بداية معرفة البطولة . انه التمرد في ابسط صوره ، ازاء قوة عنيده جبارة . انه الثورة مخفية حقدا لا يستطيع النفاذ ..

في القرن الثالث عشر تآزرت وشائج المجتمع الايطالي بعد انقسام الامبراطورية القديمة الى شرقية وغربية ، من سياسية عقلية الى روحية الى اقتصادية ، لخلق نوعية الفكر الذي ساد بعد ذلك وكان دانتي المعبر الاول عن هذه الفترة التعسة ، وكانت (الكوميديا الالهية) هي القالب الذي سجل فيه ادراكه لعصره ، ووعيه للخطيئة والعذاب الذي يحياه مواطنوه في فلورنسة . وليست فلورنسه هي العالم كما يقول (مور) . كلا .. انها المدينة الخاصة جدا ، والتي عاشها دانتي وعاشها البشر الذين صوروا في الكوميديا . .

ولكنها ، بقدر ما كانت فلورنسه ايطاليا ، كانت ايضا فلورنسه العالم ، لان الناس في عصر واحد ، وفي مكان متصل واحد كاوروبا ، يتشابهون في الخصال والاخلاق بقدر ما يتصلون بالقضايا والمشاكل والمطالب التي يعونها ....

وهكذا يظل الفكر دوما ، غارقا في ماساة البشر ، او طارحا للجواب ، او معلنا عن الازمة ، ولكنه يبقى في كل صورة من هذه الصور ، ارقى ما في المجتمع من اعصاب ...

كانت هذه المقدمة ضرورية بازاء الشكوى المرة التي يعلنها الادباء المعاصرون في الشرق العربي وازدادت حدتها هذه الايام في جرائد الاقليم الجنوبي ومجلاته ، وهي « ليس هناك من استجابة بين الكاتب والجمهور » ، ويثبت ذلك مستوى المباع سنويا من المجموعات القصصية ودواوين الشعر ، وكتب الدراسات والابحاث ، فضلا عن الكتب السياسية والاختصاصية ، فالناشرون يشكون مر الشكوى من تكدس الكتب في المخازن ، ومن عدم اقبال القراء على الشراء .

وهذه حقيقة صلبة ، اذا قارنا ما يصدر في بريطانيا سنويا من الكتب مثلا وهو ٢٣٠٠٠ كتاب ، بواقع ٣٥٠ مليون مجلد كل عام(١) .

ما سبب فقدان الثقة بين الكاتب والجمهور في الشرق العربي بعامة والاقليم الجنوبي بخاصة ؟ اولا ، هناك بون شاسع بين الفكر الراقي لدى الكتاب والمثقفين ، وبين الفكر المتسطح لعامة الناس ، نتيجة لتلمس الكتاب والادباء بعض ما ينشر في اوروبا وامريكا من افكار وقضايا وبعض تاثيرات المدارس الادبية . فالقاريء الذي يطالب بان يجد نفسه فيما يقرا ويهضم ، مصدوم بهذه الغرابة التي يلاحظها في ملامح ابطال القصص ، ومروع بالمشاكل التي يتعرض لها الناثرون مثل قضايا الفراغ الروحي ، وتحكم الالية ، وفناء الحضارة .. الى اخره.. اما الاعمال الفنية التي تتبنى الانسان العربي ، فهي اعمال ما زالت بدائية وغشيمة ، لان كتابها كانوا مخلصين منذ البداية لواقعهم ولارضهم ، ففاصوا فيها ، بدون ان يلاحقوا تطورات القالب والشكل في الغرب. والقاريء يقبل على هذه الاعمال لانه يجد فيها ملامحه ، وما زالت هذه الاعمال تدر الربح على كتابها وناشريها ، كقصص محمود تيمور ، ونجيب محفوظ ، ويوسف السباعي ، على الرغم من ان بعضها ما زال يخاطب جاهلية القاريء وسذاجته ، على الاقل من حيث الشكل والبناء الفنيان .. اذا صرفنا النظر عن قضية الغرابة التي تبدو في اعمالنا الفنية ، واجهتنا مشكلة اخرى اهم واعقد ، وهي مشكلة القراءة نفسها ..

فالقراءة الجادة بالنسبة لرجل الشارع ، مسالة لا تهمه كثيرا ، وذلك لانه – تربويا – ناقص المستوى العقلي الى حد بعيد . فنسبة الامية ما زالت ضخمة وشائكة ، والنسبة القارئة ما زالت تظن ان القراءة هي تزجية وقت الفراغ ، وعلى هذا الاساس نجدهم لا يتورعون عن قراءة اغث واسخف ما في السوق الادبية ، ولديهم من براءة الحس ما يجنبهم التعرض للمؤلفات الجادة .

عملية توصيل الفكر الى القاريء تتطلب – بالمعنى المادي – وجود الكاتب والناشر ثم الجمهورية وهذا هو الفهم الضيق للمسالة ، فهل يمكن مثلا ان نوجد في « انجولا » مستوى قرائيا عاليا ، اذا ترجمنا « تاريخ الحضارة الغربية » لبرتراندرسل الى اللغة الانجولية ؟ وهل يمكن بعد ان نشهد النتيجة ان نرفع حواجبنا الى اعلى ونقول بان الوعي في (انجولا) منحط ، وان الدليل على ذلك هو سوء توزيع الكتاب؟

اليس لنفسية الامة والناس مغزى حين يدفع بكتاب الى السوق ؟؟

في القاهرة وحدها عشرات من الكتاب ، وعشرات من الناشرين ، والاف من القراء ، وبالرغم من ذلك تكاد نسبة توزيع الكتب تقارب نسبة التوزيع في (انجولا) مثلا .. اذا وضعنا في اعتبارنا مسالة ارتفاع اثمان الكتب ، بالنسبة الى دخول الافراد الصغيرة ، امكننا ان نواجه

ماذا تقرأ هذا الشهر ؟

دار العلم للملايين توفر عليك عناء الاختيار

فتقدم اليك أحدث إنتاجها :

الاصول البرلمانية في لبنان وسائر العالم العربي
للاستاذ انور الخطيب

عباقرة العلم — للاستاذ جورج سلستي

لا سنة ولا شيعة — للاستاذ محمد علي الزعبي

الجيل العربي الجديد — للدكتور عبدالله عبد الدائم

الجانب الثقافي من القومية العربية
للاستاذ عبداللطيف شراره

الادب العربي في آثار الدارسين — لنخبة من الاساتذة

(١) روتالد باركر « بين الكاتب والقاريء » مجلة (اصوات) العدد الاول ١٩٦١ لندن

المسالة بكثير من الثقة ، اذ يبلغ متوسط ثمن الكتاب الواحد ثلاثين قرشا مصريا ، وذلك يعجز حتى القارىء المثقف عن التزام شراء كتاب مميزلديه.

والقراء موجودون . والدليل على ذلك هو قوة توزيع السلسلة التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد بعنوان (المكتبة الثقافية) والكتاب الواحد ثمنه قرشان ، وتقام في بعض المناسبات ، كمولد السيدة زينب ، والحسين ، وطوال شهر رمضان ، مكتبات ثابتة في الشوارع والميادين ، بتخفيض عشرين في المائة من ثمن اي كتاب تعرضه دور النشر في هذه المكتبات، ونسبة الشراء مرتفعة ، والمكتبات تلقى نجاحا ، لان الجمهور القارىء موجود فعلا ، ولكنه مصدوم بارتفاع اسعار الكتب .

المشكلة يمكن تقليبها على وجوه عدة ، وفي كل وجه سوف نصطدم بهذا الارتباط القوي بالوجه الاخر : هناك مشكلة الكاتب العربي المعاصر ، ومشكلة الجمهور ، ومشكلة الفراغ الثقافي الناتج عن المشاكل السابقة ، ومشكلة خلو الارضية من الاسس التي تقوم عليها الثقافة والفكر والادراك،وكل هذه الاوجه ملتحمة بعضها بالاخرفي اكثر منجانب.

فالكاتب المعاصر ـ بشكل عام ـ لا يقيم وزنا لمعاصرته ولمجتمعه، ولضرورة دراسته لكل ما يميز وجوده ووجود امته ، فاذا كان مبدعا ، تكفيه الموهبة ، واذا كان ناثرا يكفيه الاستيراد من الغرب الجاهز.

والكاتب يريد ، بالرغم من هذا العيب الخطير الذي يدفع اعماله ، ان يقدره القراء ، وان تصل كتبه واعماله الى بقية الناس بانتظام... وهو لافتقاده كل ذلك يطلق صيحته : .. ما من استجابة ، انني اكتب وحيدا ...

والواقع ان ما يشكل بؤسه الخاص ، ليس الا فقدانه الوعي بالذات .. اليس احرى به ، بدل ان يقول « لا فائدة ، فالناس لا يقرأون ..» ان يدرك مغزى هذا الافتراق بين ما يكتب وبين حقيقة الجمهور ؟!

اين هي الاعمال الفنية التي تغنى عواطف الناس واذهانهم ، كما اغنى دانتي معاصريه .. اين هو وجه العصر في كتابات مبدعينا ، كما كان « هاملت » و « الدون كيخوته » وجهين لعصريهما ؟. اين هو الرجل العربي الذي عاش حياة ثارية ومسئمة للقاية وبالغة التعقيد من بداية القرن حتى الان ، اين هو في روايات المعاصرين من الكتاب ؟..اين المراة العربية المحجبة التي تناهب لوجودها الحقيقي ؟ اين مشاكل الارض والنفسية والهرب ، واين نتائج الازمات السياسية والوجودية والفكرية التي عشناها منذ ضياع فلسطين ؟ اين كل ذلك، بل ايـن بعض ذلك ، وعشرات من الهموم غير ذلك ؟؟

لقد كان دانتي شاعرا من الطراز الاول ، ولكنه كان ايضا بنفس المستوى من القوة ، ملتزما من الطراز الاول ايضا ، وكذلك كان سيرفانتس وجوته وكازانتزاكيس ودستويفسكي . كان هناك ارتباط شامل بين هؤلاء الكتاب وبين الارض التي ولدتهم : فقدان المثل في اسبانيا كما صوره سيرفانتيس ، ضياع الانسان بين جفاف العقل وبين البراءة غير المنتظرة كما ادركه جوته . فقراء الاغريق يوازنون بين جدب الطبيعة وغنى انفسهم ، كما صوره كازانتزاكيس ، ثم المشاكل الفظيعة التي عرضها دوستويفسكي ، والتي كانت نخلة من خلال الارض الروسية الواسعة بكل اقطاعها وامرائها وظلمها وجورها وعدلها .

كان هناك اشتراك واكثر من الاشتراك بين هؤلاء الكتاب وبين عصورهم ، مما ادى الى وجود صلة من القرابة بين المعروض في مؤلفاته وبين ادراك الناس .

اما كتابنا فانهم لايريدون ان يدرسوا الوضع جيدا ، وان يغوصوا الى اعماق العربي الذي لم يكتشف حتى الان ، ويكفيهم ان يصفوه من الخارج ، باسمه المرنان ، الى شكل طاقيته وجلبابه ، ولهجته المحلية ، ثم بعد ذلك يزعمون انهم متوحدون ..

اما مشكلة الناشر ، فهي مشكلة مادية بحتة ، فكما ان الناشرين في الغرب يخشون المغامرة ، وخاصة مع المؤلفين الجدد ، يخاف ناشرونا نفس المهبة ، فيرفضون ان يضحوا بسمعتهم ومالهم ، ويفضلون ان يتعاملوا مع كاتب ناجح.

وقد تعرض لهذه المسالة في شيء من التفصيل (رونالد باركر) وهو سكرتير اتحاد الناشرين بلندن ، اذ يقول « اما اذا كان الكاتب حديث العهد بالنشر ، فعليه ان يجد ناشرا يرى فيما كتب مايبرر توفير المال لنشره ، وبوسع الكاتب الجديد ايضا اذا راى ذلك ان ياخذ كتابه الى احد الناشرين القلائل الذين يتعهدون بنشر الكتب وعرضها في السوق على حساب المؤلفين . ويجب ان تتوفر في الناشر مقدرة الحكم على قيمة الكتاب في ذاته ، بالاضافة الى معرفة واسعة بحاجة الجمهور مما يتصل بالكتب بوجه عام »(٢) وهو يفترض ان احسن الطرق لتلافي ذلك ، هو وجود الناشر المتخصص : اي في كتب الطب وحدها ، او الادب وحده وهكذا ..

بيد ان هذا الحل موجه الى الناشرين في بريطانيا ، ولا يهم وضعنا اطلاقا . اذ لا بد ان يهتم المسئولون في بلد ينهج نحو الاشتراكية ، ويخطط اسسا جديدة للوجود العربي ان يفكر في هذه المسالة ، وان يعطيها قدرا من الاهمية ، اذ يمكن ان تشرف وزارة الثقافة والارشاد على عملية اختيار الكتب المقدمة الى الناشرين ، بواسطة لجان للقراءة تعينها من موظفيها لدى كل ناشر ، على ان يتقاسم ارباح الكتاب المقترح طبعه ، الناشر والوزارة ، ولا بد ان توضع في الاعتبار مسالة تخفيض المصروفات بالنسبة للكتاب ، اي جعله باستمرار طبعة شعبية ، ليقل ثمنه ، ويقبل عليه القارىء.

اما الجمهور فان مشكلته عصية للغاية ، وهي مشكلة التاخر على العموم . ولا بد في هذه الحالة ان يوجه الاهتمام الى اصدار كتب رخيصة وجادة ، تلخص معظم المعارف الاساسية والعلوم المعاصرة التي يجهلها القارىء ، ويستحسن ان يغض النظر مؤقتا عن نشر الكتب الادبية والنقدية على نطاق شعبي ، اذ ان المطلوب هو توفير خلفية ثقافية ، توضح الامور الهامة للوعي الشعبي ، ثم تتدرج هذه المعلومات صعودا وعمقا .

وعلى كل جريدة ان تهتم بافراد صحيفة خاصة بالفكر ، ليس على المستوى العميق الذي يمارسه به دكاترة الادب وكتابه ، بل على مستوى اقل تعقيدا ، لان المشكلة اساسا هي مشكلة التاهيل ، وليست مشكلة الالزام ..

ولا بد ايضا ان نهتم بتكليف بعض النقاد ، ملاحقة الاعمال الابداعية عن طريق سلسلة من الدراسات النقدية تسهم في تقريب وجهة نظر الخاصة الى العامة .. لا بد من كل ذلك ، كما لا بد لكل قضية ان يكون جوابها من داخلها .

ان القارىء العربي ـ في هذه النهضة المملاقة ، شغوف بالمعرفة، شغفه بالعمل ، ولكننا نطالبه بالكثير عندما نلزمه بان يتخطى ضيق معارفه وفقره ، وان يشتري شهريا هذا السيل من الكتب الذي تقدمه المطابع الى السوق ..

فحتى يدرك هو ـ بمسئوليته الخاصة ـ معنى القراءة ، ومعنى الارتباط بالعصر ، يستحيل علينا ان نطلب اليه ان يموت جوعا ليشتري كتبنا ..

وكل مسئولية الكاتب الان ، تتلخص في انه يواجه موقفا حضاريا متخلفا ، يحتاج منه زيادة في المعاناة والدرس والاخلاص ، وعلى اساس هذا الوعي نفسه ، لا بد ان ينظم حدوده وان يسهم في تقديم معرفة ما الى بقيةالاخرين.

(١) المرجع السابق ص ١٣